

قداس عيد الميلاد في جامعة سيدة اللويزة

الأب وليد موسى

في 23 كانون الأول 2005

أيها الاخوة والأخوات الأحباء،

"وفي ملء الزمن: ولد المسيح..."; وملائكة بشرّوا الرعاة بفرح عظيم معلّنين أنه قد ولد المخلص؛ وآخرون منهم مجّدوا الله في العلى حاملين سلاماً للأرض وأبنائها.

ليست هي المرة الأولى التي فيها نحتفل بهذا العيد، عيد مولد ربنا ومخلصنا يسوع المسيح. وليست هي المرة الأولى التي فيها ننهمك بالتحضير والإهتمام بأمر عدة بعيدة عن ما هو جوهرى. ولكن ميلاد المسيح يمر علينا، ككل سنة، وكأنها المرة الأولى التي فيها يولد يسوع في التاريخ.

إن ما يجمعنا اليوم هو حدث تاريخي، ولكن حقيقته تتخطى الحدث وتتخطى التاريخ. هذا يدفعني أن أقف معكم في هذا الوقت متأملاً بثلاثة:

1. مولد المسيح هو محور التاريخ، فمنذ ذلك الحين أصبح للتاريخ "ما هو قبل" و"ما هو بعد" ميلاد يسوع. فالأزلي رضي بأن يتجسد ويدخل التاريخ حتى يعطي للتاريخ معنى وقيمة. فالله يعمل في التاريخ ومن خلال تسلسل الأحداث. لو لم يكن هناك من إحصاء تاريخي أقره الأمبراطور الروماني، ولو لم يكن من واجب يوسف ومريم أن يكتبتا في مسقط رأس يوسف، لما ولد المسيح في بيت لحم حيث كان عليه أن يولد.

واليوم، كم نحن بحاجة إلى معرفة قراءة الأحداث، واكتشاف يد الله في صنعها، واستشفاف إرادته من خلالها.

2. مولد المسيح هو حاجة الله للإنسان. ففي بيت لحم، لم يستقبلوا المسيح، ولم يكن له من مكان يولد فيه. إذا أردنا أن نتأمل الحدث، لا يمكننا إلا وأن نرى القديس يوسف منهمكاً يقرع باباً تلو الآخر، شارحاً واقعه المحتاج وراجياً أن يفهمه أحدٌ مرحباً ومساعداً؛ ولكنه مرة تلو الأخرى كان يُرفض ويكسف وحتى يشتم.

واليوم، أكثرُ هم الذين لا يريدون بعد استقباله. فيسوع نفسه يقرع الأبواب ولا من ردٍ ولا من ترحيب.

هذا الذي جاء حاملاً السلام على الأرض، مبشراً العالم بالخلاص، مرة تلو الأخرى يُرفض ويكسف وحتى يُشتم؛ يقال له: لا نريد سلامك ولا حتى خلاصك.

3. مولد المسيح هو حاجة الإنسان لله. فهذا الطفل الموضوع في مذود هو مجد السماء، ولكنه سلام الأرض، ومخلص الإنسانية، والفرح العظيم. هذا الطفل هو الله الذي صار إنساناً، هو غنى الإنسان بالله، هو رفع الإنسانية إلى الألوهية، هو فيض السماء على الأرض.

في الميلاد كشف الله عن سره، هو العظيم والمتواضع في آن، هو خالق الكل والمحتاج إلى الكل. هذه الحقيقة، وحده الإيمان قادر أن يفهما. وتجدي اليوم أمام أكثر من هذا العالم يصرون أن يفهموا بعقولهم البشرية المحدودة حقيقة هذا السر الإلهي اللامحدود.

إن هذه التأمّلات تحملني اليوم لأقول لكم ما يلي:

لا تخافوا التاريخ ولا الأحداث الحاصلة والقاتلة والمستبدة، فانه حاضرٌ، فهو عمانوئيل، "الله معنا"، وإذا كان الله معنا فمن يقدر علينا.

لا تخافوا المستجدات، ولا العهد الجديد، فالعهد الجديد لا ينقض العهد القديم، بل يكمله ويضفي عليه معنى جديداً. وما نقوم به اليوم في إدارة هذه الجامعة ما هو إلا متابعة المسيرة وتطويرها وإكمالها.

لا تخافوا الإنفتاح على ما هو جديد ومختلف، ففي الجديد حقيقة لا نفهمها إلا إذا تفاعلنا معها بإيجابية. والرهبانية المارونية المريمية بحاجة لكل فرد منكم في هذه الجامعة، تؤمن بكم، تطرق الباب عليكم كما كان يوسف البار يطرق أبواب بيت لحم. فما الجواب! لا تخافوا الإيمان، أن تؤمنوا أنتم أيضاً بهذه الجامعة وتلتزموا بها وتنتموا إليها. فالإيمان هو أساس العطاء المتطلع نحو المستقبل برجاء ومحبة.

"لا تخافوا إني أبشركم بفرح عظيم، فقد ولد لكم مخلص... إنه معطي السلام".